القبول النووي

بقلم: ستيف كيد

غالباً ما يتوهم العاملون في الصناعة النووية أنّ هذه الصناعة فقط هي التي تواجه معارضة قوية، ويتولد عن ذلك شعور بالانعزال واتخاذ أقصى موقف دفاعي. وإذا نحّينا ذلك جانباً، نجد أنّه لا يوجد في الوقت الحاضر قطاع صناعي يَسلَم من انتقاد الرأي العام. ويتحتم على كافة قطاعات الصناعة – تحت مظلة المسؤولية الاجتماعية المشتركة – أنّ تبرر أنشطتها فيما يتصل بالأثر البيئي والاجتماعي. إنّ الافتراض الحالي يقوم بالأساس على مفهوم أنّ القطاع الصناعي "مذنب حتى تثبت براءته". لكن هل الأمور سيئة جداً بالفعل، وهل الجهود التي تُبذل بُغية السيطرة علي كلٍّ من الرأي العام الوطني والدولي جديرة حقاً بالاهتمام؟ ربما تكون الإجابات بالنفي.

وإذا نظرنا إلى الولايات المتحدة، فمن الواضح أنّ التحسن الكبير في التفهم الجماهيري للقوى النووية له جذور ترجع إلى الأداء التشغيلي الرائع لـ104 محطات في السنوات الأخيرة. ولعل إنتاج كميات كبيرة من الكهرباء الرخيصة والمأمونة، مع مراعاة الجانب البيئي، يحقق فاعلية تفوق كثيراً ما تحققه أي استراتيجيات تَواصل باهظة التكاليف. إنّ الشيء الوحيد الذي يثير الاهتمام الجماهيري هو حدوث خطأ على المستوى التشغيلي. لقد أظهرت الحادثات التي وقعت في محطتين ألمانيتين والزلزال الذي ضرب اليابان عام 2007 الحاجة إلى إدارة جيدة للرأي العام و"إدارة الأزمات".

وفي الحقيقة فإنّ الرأي العام لم يُظهر – حتى وقتٍ قريب – سوى اهتمامٍ ضئيل بقضايا الطاقة. وأنّ ذلك يحدث فقط عندما تلوح في الأفق أزمة، مثل التهديد بانقطاع التيار الكهربائي أو ارتفاع كبير في الأسعار ووجود طوابير أمام محطات البنزين، وهنا ينزعج الجمهور بشكلٍ كبير، ويمارس ضغوطاً على الصناعة والساسة. لقد مثّل عقدا الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي فترة هادئة نسبياً في مجال الطاقة، ومن ثم نجد الآن أنّ الكثيرين ليست لديهم آراء كثيرة قوية ناضجة حول أنواع معينة من الوقود أو حول الاستراتيجية الوطنية. بيد أنّ من المحتمل أن يكون هذا الأمر مختلفاً فيما يتصل بالعلاقة بين استخدام الطاقة والبيئة، تلك العلاقة التي بدأت تمس الوعي الجماهيري العام بشكلٍ أكثر عمقاً. لقد أصبح تغير المناخ والاحترار العالمي المحتمل بمثابة هِبة للحركات المهتمة بالبيئة، حيث تُقدم سيناريو أكثر مصداقية للتنبؤ. إنّ معظم الأشخاص مرهفي الحس يدركون أنّ المخاوف الأخرى التي يثيرونها هي – إلى حدٍ كبير – على غير أساس، حيث إنّ التقدم الاقتصادي يؤدي – بوجهٍ عام – إلى بيئة أكثر نظافة.

وعند وضع القوى النووية في هذا المنظور، نجد أنّ هناك مخاوف واضحة في عقل الجماهير حول علاقتها بالأسلحة، وبالانتشار الذي ينتج من الجانب المدني للصناعة، والمخاوف العامة من حدوث تسرب إشعاعي محتمل نتيجة للتشغيل. ويمكننا أن نُرجع الكثير من ذلك إلى التقييم غير المنطقي للأحداث ذات المخاطر البسيطة، ولكنها ذات عواقب وخيمة. لكن ذلك شيء ينبغي أن تتعايش معه الصناعة. ومن حسن الحظ أنّ الأفراد الذين يتبنون اعتقاداً متصلباً ضد الطاقة النووية ومن الصعب إثناؤهم عنه هم قليلو العدد نسبياً. كما أنّ عدم اكتراث كثير من الجمهور بشكلٍ جدي بقضايا الطاقة لوقت طويل يوحي بأنّه يمكن بسهولة التأثير على آرائهم بطريقة أو بأخرى.

ومع الأسف، فإنّه لا يمكننا أن نعوّل على الساسة كثيراً في إظهار الريادة فيما يتعلق بالأمور الخاصة بالطاقة النووية. نحن نعرف من نتاج خبرتنا المريرة أنهم يفضلون "اتخاذ موقف حيادي" عندما تتعلق الأمور بقضايا من شأنها إثارة جزء – ولو صغير جداً – من جمهور ناخبيهم، حيث إنّ فقد تلك الأصوات الملتزمة قد يؤثر بشكلٍ كبير في الانتخابات الصعبة. لذا فهم يعوّلون على مجموعات الضغط، ويميلون إلى الانقياد إلى العامة بدلاً من أن يحدث العكس، ومن المفترض أن يفعلوا عكس ذلك. بيد أنّ تغير المناخ يتيح فرصة مثالية لأن تظهر الطاقة النووية في شكل جديد أمام أولئك الذين تنتابهم بعض المخاوف العامة، ولكن غير الراسخة، حول الطاقة النووية. إنّ تقديم الطاقة النووية كتكنولوجيا نظيفة وصديقة للبيئة من شأنه أن يستغرق وقتاً، لكن يبدو أنّ فهم الرسالة التي فحواها أنّ الطاقة النووية تُصدر كميات قليلة من غازات الدفيئة يسير ببطء.

ويمكن أن يُلقى اللوم فيما يخص العديد من مشكلات الصناعة مع الرأي العام على خطايا الماضي. إنّ الخطباء المتغطرسين الذين يتحدثون – من علٍ – إلى جماهيرهم دون مصارحتهم بالمعلومات المهمة هم الميراث الذي استغرقت الصناعة وقتاً طويلاً للتخلص منه. لقد تغير المجتمع نفسه في الوقت الراهن بشكلٍ جذري، ولابد أن تتواءم الطاقة النووية مع هذا التغير. لقد اتسمت الفترة الواقعة بين الأربعينات إلى أواخر الستينات من القرن المنصرم بسيطرة الدولة والامتثال لها، والقناعة بأنّ التطبيقات العلمية من شأنها جلب عظيم الفائدة للقاعدة العريضة من الجماهير. إلا أنّه ابتداءً من السبعينات وما بعدها، سادت مفاهيم الاعتماد على النفس وانعدام الثقة

في العلم، وإقحام الحقوق الفردية بصرف النظر عن المصلحة العامة. ولا تستقيم أحوال القوى النووية بسهولة مع تلك الظروف، إذ أنّ الطاقة النووية تعوّل – إلى حد ما – على تدخل الدولة (على الأقل في وضع إطار للأعمال ذات الصلة مثل الترخيص والتنظيم والتصرف في النفايات) ولكنها –في آخر الأمر– تتعلم كيف تستمر في ظل مناخ أسواق الطاقة المنافسة وفى ظل الملكية الخاصة.

إنّ أفضل الأمثلة لكسب الجماهير في العالم حالياً تأتي من نماذج محددة لتخطيط مرافق جديدة، وليس من محاولات إقناع العامة. ويُعد الرأي العام – بالأساس – أمراً محلياً ويجب التعامل معه على هذا النحو. لقد ساعد اختيار موقع مستودع النفايات في السويد والمفاعل الفنلندي الخامس على إظهار أنّ العمل الجاد باستخدام فريق عمل محلي يمكن أن يسفر عن نتائج إيجابية. ويجب أولاً توضيح مدى الحاجة إلى وجود المرفق الجديد بشكلٍ مقنع، ثم يجب إشراك الجماهير في العملية كاملة مع توفير معلومات واضحة وفرص لإسداء المشورة. وينبغي احترام خبرة الجمهور المحلي كخبراء فيما يتعلق بالشؤون المحلية، كما يجب أن تكون لهم الكلمة الأخيرة في المشروع. ويجب أن تهتم الشركات المعنية بما هو أبعد من مجرد الربح، كما يجب أن يكون لها اهتمام مخلص بمصالح المنطقة المحلية والبلد ككل. وفى الواقع، فإنّ المرافق النووية تقدم وظائف ذات رواتب مجزية وآمنة لسنوات عديدة في المستقبل، كما أنّ لها آثاراً اقتصادية كبيرة تتجاوز الاستثمار الرأسمالي المباشر.

ويُعتبر توفير المعلومات الواضحة والدقيقة حول القوى النووية سلاحاً مهماً لكسب الجماهير. وعلى الرغم من أنّ المعرفة أفضل كثيراً من الجهل، فإنّ هذا النهج تكتنفه بعض المحددات، ولا يُتوقع أن يحقق الكثير في الأمد القصير، خاصةً في الأمد الأقصر. وهناك ملاحظة واضحة، تلك هي أنّ بعض من ينتقدون الصناعة بقوة هم في الحقيقة على دراية واسعة بها. وفى الحقيقة أنّ أفضل موقع شبكي عن تعدين اليورانيوم على مستوى العالم تديره المؤسسة العالمية لمعلومات الطاقة WISE وهى جماعة معادية للطاقة النووية. ولذا فلابد أنّ يكون هناك ما هو أكثر من الحقائق بالنسبة لها. ويمكن المجادلة بأنّ المعتقدات والقيم قد تكون أكثر أهمية حتى من المعلومات الحقيقية.

وإذا اشتركت في جدل من منطلق عاطفي (مثل تبني مقولة إنّ القوى النووية تمثل شراً على البشرية)، فليس من المحتمل أن تدفعك الحقائق لتحيد عن هذا الاعتقاد – وربما العكس هو الصحيح في واقع الأمر. إنّ التغلب على الأفكار المضادة للطاقة النووية والتي ترسخت في الأذهان على مدى سنوات عديدة يحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت. ويُعد الداعية صاحب الرسالة والطريقة التي تُعرض بها تلك الرسالة عناصر بالغة الأهمية، ومن ثم فمن المهم البحث عن تأييد أطراف ثالثة تتمتع بالمصداقية. وتنظر الجماهير الساخرة إلى الصناعة على أنّها تمثل – بالأساس – مصلحة فردية "هذا ما سوف يقولونه، أليس كذلك". أما علماء البيئة البارزون مثل جيمس لاڤلوك وباتريك موور فهم يقدَّرون بمثل وزنهم ذهباً حين يؤيدون أهمية القوى النووية. لكن المعركة لا تزال عسيرة ولن يقتنع البعض أبداً. إنّ القوى النووية تجسّد – في الواقع – كل ما يكرهه البعض في العالم الحديث، مثل التطبيقات العلمية، والحكومات الكبيرة، وعولمة الإنتاج من خلال المؤسسات الكبرى. وتعكس هذه الغطرسة الزائدة ما كان لدى بعض الرواد النوويين الأوائل المغرَّر بهم – إذ يستشعرون أنّهم دون غيرهم ينقذون العالم من أجلنا جميعاً.

وأخيراً، فإنّ علينا أن نوافق على أنّ استخدام اللغة هو أيضاً أمر جد مهم. فنحن نعاني اليوم بسبب بعض الأخطاء الجسيمة من الماضي. فإذا ما سألت أي شخص عن أكثر الكلمات ارتباطاً بكلمة "نووي" فسوف يقول حتماً "قنبلة" "انفجار" أو "حرب"، ولن يقول "قوى". ولو كان قد أُطلق على القوى النووية مصطلح "قوى الانشطار" (وهو التعبير الأصح)، لكانت الصعوبات المتعلقة بالقبول الجماهيري أقل بلا شك. ومن ثم فإنّ الحكمة تقتضي أن نتحرى الحرص فيما نقوله عن غير قصد، لأنّ الجمهور يستشعر رسائل أبعد مما تعنيه مباشرةً.

والمثال الواضح الآخر يتمثل في أنّنا نُطلق – وبدون اكتراث – لفظ "نفايات" على كل ما يخلّفه المفاعل. وهذا يؤكد أنّه سوف يتحتم إيجاد حلول سريعة كي لا تنتقل المسؤوليات إلى الأجيال القادمة. والبديل هو أن نشير إلى ذلك بعبارة "الوقود المستخدَم" التي ستوضح القيمة الاقتصادية المحتملة له، ومن ثم يمكن تمديد الفترة الزمنية بشكلٍ كبير (في إطار ترحيل أصول مهمة بدلاً من ترحيل المسؤولية لأجيال المستقبل). وتُعد بعض المصطلحات النووية الأخرى غير مثالية من وجهة نظر الجماهير مثل "مفاعل سريع التوليد" فهي تجعلهم يستحضرون صور العلماء الذين كانوا يعملون مع دكتور سترانجلوف الشرير، بينما بعض المصطلحات الأخرى مثل "طبقة حصوية" تبدو أكثر لطفاً. وليس من الضروري أن نستعين بمستشارين مشاهير يتقاضون مبالغ باهظة، ولكن البعض يعتقد أنّه يجب الاهتمام بتأثير المصطلحات الجديدة على الرأي العام.

وفى النهاية، يمكن الخلوص إلى أنّ التجربة قد علمتنا أنّ هناك عدداً من الطرائق التي يمكننا من خلالها الإسهام في تحسين صورة الصناعة لدى الرأي العام. بيد أنّ الأمر الأكثر أهمية يظل متعلقاً بتشغيل محطات القوى النووية الموجودة على أفضل نحو ممكن، وأن ننقل رسالة بسيطة عبر ذلك. وإضافةً إلى ذلك، فإنّ التواصل الجيد المعتمد على الجانب المحلي والخطط التفصيلية لإدارة الأزمات يُعد أيضاً أمراً أساسياً.

ستيف كيد مدير الاستراتيجية والبحوث بالرابطة النووية العالمية (WNA) في لندن.

البريد الإلكتروني: kidd@world-nuclear.org

إنّ الآراء الواردة لا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر الرابطة النووية العالمية أو الشركات الأعضاء فيها. وقد نُشر كتابه الأخير المعنون "تحليل القضايا الأساسية للقوى النووية في الوقت الراهن" من خلال *المؤسسة الدولية للهندسة النووية*".

الموقع الشبكي: www.neimagazine.com